الفصل الثالث

الجهـــاد لمـــاذا؟

بعض الناس يقولون: إن دين محمد هو دين السيف، أي أنه قام بالسيف وانتشر بالسيف، ويستدلون على ذلك بالمعارك العديدة التي حصلت بين المسلمين والكافرين، ويستشهدون بآيات الجهاد والحث عليه، وهذا فيه شيء من الحق. ويقول آخرون بأن دين محمد هو دين السلام ويستشهدون بآيات الصفح عن الأذى واحتمال الشدائد وبصبر النبي (صلى الله عليه وسلم) على الإيذاء، وبقوله تعالى:

(وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)(الأنفال 61)

وهذا فيه شيء من الحق أيضا.

ويقول الفريق الثالث: إن دين محمد (صلى الله عليه وسلم) هو دين الحكمة، والحكمة: هي وضع الشيء في مكانه الصحيح، وهذا الرأي الثالث هو الرأي السديد، الصالح للتعامل مع الأحداث في كل زمان ومكان؛ إذ انه من الغباوة بمكان أن آتي إلى إنسان بسيط لا علم له بالأمر فابدأ معه الدعوة للإسلام بالسيف، كما أنه ومن البلادة أن يرى الإنسان حقوقه تغتصب ويتعرض هو وأهله ودينه للاعتداء ثم لا يشهر سلاحاً، ولا يرفع صوتاً، ويكتفي بعبارات السلام والاستسلام، وقديماً قال الشاعر:

ووضع الندى في موضع السيف مضر كوضع السيف في موضع الندى

لذلك فإننا إذا استعرضنا سيرة النبي(صلى الله عليه وسلم) لوجدنا أنه بتعليم الله له، كان حكيماً في كل شيء، فلم يستعمل السيف في مكان يمكن أن يكون للتفاهم فيه موضع أو مجال، فالإسلام بدأ لمدة ثلاث سنوات بأكملها وهو في مرحلة السرية التامة... مرحلة اقرأ، وهذه المرحلة لا يوجد فيها مكان للسيف أبداً، ثم جاءت مرحلة الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة مع الصبر واحتمال الأذى، فكم من صحابي شتم وضرب، واعتدى عليه، وامسك بتلابيبه حتى كاد يختنق، ناهيك عمن وضع ظهره على النار حتى أُطفئت بشحم ظهره، وغيرهم ممن عذب حتى أنهكت قواه، فكان يقال له:الجعل أو (الجعران) ربك، فلا يقدر على أن يقول: لا، وبلال– رضي الله عنه – كان يُلقى على ظهره في بطحاء مكة في شدة حر ظهيرتها وتوضع الصخرة الكبيرة على بطنه فلا يقدر أن يتلفظ إلا بقول أحد...أحد ... أحد...،

وآخر يموت تحت التعذيب بعد أن ماتت زوجته بخنجر سيدها الذي وضعه في أسفل بطنها، ولم يراع أبسط قواعد الأدب.

فأين هو السيف الذي استعمل يا من تتهمون الإسلام بالإرهاب؟ وهل سيبقى أحدكم صامتاً لو تعرض إلى ما تعرض إليه الصحابة، رغم أن العربي بطبيعته يأبى الضيم والذل ولو لاقى الألوف لوحده، ولكن الأوامر النبوية كانت تصدر "صبراً آل ياسر إن موعدكم الجنة"

(أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ)

(البقرة: 214).

ثم تأتي مرحلة الهجرة والهجرة لها اوجه مختلفة، ومعاني متعددة، والذي يهمنا في هذا الموضوع الآن هو ما يعرف لدى العرب في الجاهلية بـ(الجلوة) إذ كان الجاني والمعتدي على الآخرين فيهم بالقتل أو بجريمة أخرى هو الذي يرحل (يجلي) عن بلاد المقتول؛ تلافياً للاصطدام وثورة الدم والغضب مع أهله.

ورغم هذا العرف الذي لا يزال إلى الآن في بلاد العرب إلا أن الهجرة تعني جلاء محمد (صلى الله عليه وسلم) عن بلده ووطنه رغم أن جماعته المسلمين هم الذين أُعتدي عليهم بجميع أنواع الإيذاء، ولكنهم هم الذين تركوا الوطن– رغم حب النفس له–، وتركوا المال والأهل؛ لأنه حيل بينهم وبينه.

و لقد حدثت معجزات في مقياس البشر لإتمام تلك الهجرة التي كانت تعني من وجهة نظر أخرى قيام دولة الإسلام في مكان آخر هي المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام.

وإلى هنا فأين هو الإرهاب الذي يُلصق بالإسلام وأهله ظلماً وزوراً، ولكن الاعتداء من الكفار لا يزال يطاردهم رغم البعد الشاسع بين مكة والمدينة ... وهنا لا بد من التصرف الجاد الحازم تجاه الكفر الذي لا يرعَ حرمة ولا يخجل، ولا يتأدب، فنزلت آية الإذن بالقتال:

(أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ *الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) الحج 40)،

فكانت هذه الآية على قلوب أصحاب سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) كالماء البارد على الظمأ واحب إليهم من حمر النعم، نعم أنه السماح لهم بقتال من قاتلهم، فطاروا بهذه الآية فرحاً.

وهنا بدأ سنّ السيوف وإخراج السرايا حول المدينة، لحماية الدولة الإسلامية الفتية، واستطلاع الأماكن والطرق، ومصادر المياه المحيطة بالمدينة، ولاختيار القيادات واختبار الجند، ولإظهار قوة الإسلام وعزة المسلمين، فأي غضاضة في ذلك وأين الاعتداء في هذا ...؟[1]،

ثم كانت معركة بدر، وأحد، والخندق، كلها كانت بسبب تكالب الكفرة وإتيانهم إلى أطراف المدينة واقترابهم من معاقل دولة الإسلام، فأي عدوان من دفاع إنسان عن نفسه، أو دولة عن كيانها، أو دعوة عن مبادئها، أو مجتمع عما يهدد وجوده.

ثم كانت ثلاث مواجهات مع يهود المدينة: مرة للدفاع عن عرض امرأة مسلمة، وذلك في غزوة بني قينقاع، ومرة لتأديب متآمرين على حياة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) و ذلك في غزوة بني النضير، والثالثة لاجتثاث الخيانة العظمى المتمثلة في غدر بني قريظة،

وهذا كله لا لبس فيه ولم نجد أحداً ينتقد مثل هذه المعارك، إلا حاقد، أو حاسد، وما مثلهم إلا كمثل ذلك الأبيض المستعمر الذي قال لرفيقه: انظر إلى هذا الأسود كم هو إرهابي معتدٍ متسلط؟! تصور إنه أراد أن يعض يدي حينما وضعت رجلي على رقبته وأردت ذبحه بالسكين..؟!

فإذا كان يجوز للأبيض أن يذبح الأسود ومع ذلك يبقى يدعي بأنه مسالم مسامح، بينما يكون الأسود إرهابياً إذا حاول – من شدة الألم– أن يعضه بيده، فإننا بعد هذا لسنا بحاجة إلى إتمام البحث، أو البحث عمّن هو الظالم ومن هو المظلوم.

أولم يكن فرعون قد نظر إلى موسى تلك النظرة عندما قتل رجلاً واحداً فرعونياً ظالماً خطئاً حين أراد أن يعتدي على إسرائيلي مظلوم بينما، لم ينظر إلى آلاف الأطفال الذين ذبحهم في أحضان أمهاتهم خوفاً على عرشه من الضياع؟! فقال له (وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ) (الشعراء:19) ، وهنا لا بد أن نعرج على قتل كعب بن الأشرف وأبى رافع؛ ذلك لأن

([1]) انظر: كتاب: الرسول القائد، للمرحوم محمود شيث خطاب.

الاعتداء على مقام النبوة وعلى عرض نساءه ليست اقل من الاعتداء على كيان الأمة أو انتهاك حرمات حدود الوطن.

وهنا يأتي سؤال كبير: هل فتوحات المسلمين التي وصلت إلى حدود الصين شرقاً والى مشارف باريس غرباً كانت كلها دفاع عن النفس، أم أن هناك اعتبارات أخرى؟!

وللجواب على هذا السؤال لا بد من الجواب على عدة تساؤلات هي:

ما هي وظيفة الإنسان في هذا الوجود؟ هل هي للأكل والشرب والنوم فقط؟! أم هي أيضا لنشر الخير في الأرض؟

هل الحياة لكي أقوم بتأمين الأمن والطمأنينة لي وأترك الآخرين ينهب بعضهم بعضاً، ولا دخل لي بأمن وراحة الآخرين؟

هل باسم السيادة أسمح لحاكم متسلط أن يسوم قومه سوء العذاب يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم كما هو شأن فرعون؟ أم لا بد من أن تنعم البشرية بأكملها بالأمن والاطمئنان والراحة والأمان ....؟

هل باسم الديموقراطية أو حرية التملك لا يسمح لكلمة الحق أن تنتشر أو الخير أن يعم الأرض؟.

إن المفاهيم الجيدة إذا أسيء استغلالها وفهمها وتطبيقها تصبح سماً زعافاً واستعباداً لا يطاق: فالديمقراطية قد تصبح استبداداً، والقومية تسلطاً، وحرية التملك استعباداً، فالعبرة بالمضمون لا بالشكل كما يقولون. وللإجابة على هذه التساؤلات كلها، فإننا نسأل رجل الإطفائية لعلنا نجد لديه الجواب..؟

فلو كلفت سيارة إطفاء للذهاب إلى بيت عجوز مهلهل لإطفائه، فاعترضها عشر شباب وحاولوا أن يوقفوها، ولم يجد رجل الإطفاء مناصاً من دهسهم واحداً بعد واحد أو يترك واجبه المنوط به، فما هو جوابه؟

إن دماء هؤلاء الشباب هي حرام... ولكن وقوفهم بصلف وتمرد دون سماع لما طلب منهم رجل الإطفاء، رغم ما بذله من جهد لإقناعهم قد أباح دمهم، بالرغم من أن بيت العجوز ليس أغلى عند الله ولا عند الشعب ولا عند الدولة ولا حتى عند رجل الإطفاء من دمائهم، ولكن تأدية الواجب هي اعز من كل شيء.

وكذلك فإن بيت العجوز ليس أغلى على دولة الإسلام من عقول الناس التي أهلكها الجهل، ولا نار الدنيا هي أهون من نار الآخرة، ولا إيصال الماء إلى مكان الحريق ضروري أكثر من إيصال الهدى والنور إلى كل من يحتاجه.

ولذلك فإن دولة الإسلام الفتية حينما رأت الضلال والظلام يلفان وجه الأرض لم تألُ جهداً في نشر الخير والهدى في كل مكان وزمان، ولكنها مع ذلك لم تبدأ بالحرب، وإنما كانت البداية بإرسال الكتب والرسل إلى ملوك الأرض، يدعوهم إلى هذا الدين الجديد، وفهم مبادئه، والاستسلام لخالق هذا الكون والانقياد لحكم أحكامه، فاهتدى النجاشي مثلاً إلى الإسلام، فلم يشهر باتجاه الحبشة سيفاً واحد لفتح تلك البلاد.

ولكن حينما كان أغلب القادة ينكصون عن إتباع دين الله، إما للتكبر، أو للتبعية، أو خوفاً على سلطان زائل، أو خشية من أتباعهم المبطلين.

وحين حانت الفرصة لإنقاذ تلك الشعوب من الظلم والضلال والظلام قام المسلمون بواجبهم تجاه دين الله، إرضاءً لله تعالى ونشراً لمبادئ الخير والبركة وإنقاذاً للشعوب المظلومة المستضعفة.

ولنضرب لذلك مثالاً يبين مقصود الجهاد في سبيل الله، والدعوة لنشر الإسلام ويوضح مقصودنا في هذا الاتجاه..

مثلاً دولة (أ) دولة مسلمة مطبقة لأحكام الله من عقيدة وعبادة وأخلاق، تجاورها دولة (ب) حاكمها مستبد ظالم، وشعبها مظلوم مستعبد، ونظامها يسوده الطبقية والرشوة والمحسوبية، قامت دولة (أ) بإرسال الدعاة إلى حدود دولة (ب) وطلبوا منهم أن يسمحوا لهم بنشر مبادئ هذا الدين الجديد، وسمحت دولة (ب) للدعاة بالدخول للدعوة، ففي هذه الحالة لا مجال لقيام الحرب بين دولة أ و ب باسم الإسلام أبداً.

وحينما يدخل الدعاة إلى تلك البلاد فإنهم يقومون بالطلب من الناس أن يسمعوا كلامهم، فمن لبى الدعوة فبها ونعمت، ومن أعرض عن هذه الدعوة فلا داع لإجباره على السماع، رغم محبتنا لاهتدائه؛ إنقاذاً له من النار مصداق قوله تعالى:

(فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ *إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ *فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ)(الغاشية 21)، ولم يقل فتعذبه أنت، أما الذين رغبوا في الاستماع لأقوالنا

(مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا)(الإسـراء 15)، ولا إجبار على أحد فأين هو الإكراه في الإسلام وأين هو السيف؟!

أمـا إذا قالـت دولـة (ب): إننـا لا نسـمح للـدعاة بالـدخول، فـإن الـدعاة المسـالمين سـرعان مـا يتحولون إلى جنود محاربين لا للشعب بل للجيش الذي يحمي ذلك الحاكم المستبد، ولكن هذا الحاكم لو لم يحتمِ بالجيش أو أن الجيش لم يدافع عن ذلك القائد، فإننا لا نقاتل ذلك الجيش أبدا،ولكن وكما هو معروف فإن الواقع يسلِّم بأن كل الأنظمة الظالمة إنما تقوي جيوشها لحماية عروشها قبل حماية أي شيء آخر، ولذلك فإن القتال سيقع، ولن يقتل من جيش الكفر أكثر من عشره؛ فإذا كان الجيش بأكمله إنما يمثل على الأكثر عُشر عدد سكان دولة الكفرة... فإن ما يقتل في المعركة لا يزيد في أغلب الأحوال عن 1% من مجموع سكان تلك الدولة التي نريد أن ندخل الإيمان إلى قلوبهم، بل والى قلوب آلاف القادمين من أصلابهم...

نعم نضحي بحياة واحد ظالم مقابل أن نحيي آلاف من المحرومين

(أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا)(الأنعام :122).

إن الكفر هو الموت وإن الإيمان هو الحياة بحق.

وبعد هزيمة الجيش المعاند الذي لا نقتل منه أحداً حباً في القتل، وإنما حباً في أحياء البقية نعود بعد أن كتب لنا النصر إلى الشعب نقول له:

أيها الشعب: إننا أبعدنا عنكم جيش الظالمين والمستبدين، والآن ندعوكم إلى السماع لهذا الدين... فمن أسلم فبها ونعمت، ومن كفر فلا عليه إلا أن يدفع الجزية... والجزية هي لحمايتكم ،أي كما تفعل بعض الدول حين تقبل بدفع بدل عن الخدمة العسكرية الإلزامية ونأتي لتوضيح هذا الموضع بالأمثلة التالية:

والمثال الأول هو: حينما فتح سيدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه مدينة حمص جاء إلى أهلها وعرض عليهم الإسلام أو الجزية، فأبوا الإسلام ودفعوا الجزية، ثم جاءت الأخبار بأن الروم يجمعون الجموع لإعادة المدينة إليهم... هنا بدأ سيدنا خالد رضي الله عنه بإعادة الأموال المتحصلة من الجزية إلى أصحابها... هنا قال وجهاء أهل حمص لخالد: ولماذا تعيد لنا هذه الأموال؟! فأجابهم:

بأننا إنما أخذناها منكم لحمايتكم إلى مدة سنة كاملة، ولكننا الآن أمام حرب لا ندري ما نتائجها فقالوا له: ولكن جيش الروم الذين كانوا يرهقوننا بالضرائب الثقيلة قد خرجوا من عندنا ولم يعيدوا لنا شيئاً من الضرائب، رغم أن ديننا ودينهم واحد.

فقال خالد رضي الله عنه: نحن لا دخل لنا بأخلاق وعادات من كان قبلنا، ولكننا قوم نطبق شرع الله عز وجل، وبالفعل فقد أعاد أموال الجزية إلى أهلها، ودارت رحى المعركة فكان النصر حليف ذوي الأخلاق الطيبة، والمبادئ السمحة، ونصر الله خالداً ومن معه رضي الله عنهم وأرضاهم.

وحينما عاد جيش الإسلام إلى حمص استقبله أهلها بالهتاف والأناشيد والأهازيج الشعبية... وما هي إلا بضعة أيام حتى كان أهل حمص كلهم قد دخلوا الإسلام طواعية ورغبة دون إكراه أو إجبار، ولكن بأخلاق الإسلام.

ومثال آخر: فإن أهالي سمرقند قد اشتكوا إلى عمر بن عبد العزيز– رحمه الله– أن جيوش المسلمين قد دخلت إلى المدينة عنوة دون إنذار سابق، فأمر الخليفة المسلم عمر، القاضي المسلم، بأن يحقق في الشكوى، وحكم القاضي المسلم بأن يعود الجيش المسلم إلى خارج المدينة، وأن تغلق المدينة أبوابها، ثم يقوم الجيش المسلم بإنذار المدينة ثلاثة أيام، ثم يبدأ بالهجوم من جديد.

وبالفعل فقد نفذ الجيش الأوامر بحذافيرها رغم ما كلفه الأمر من خسائر، من مال، وجهد، وتخطيط، وفقدان عنصر المفاجأة، ولكن الحق، أحق أن يتبع، وعاد الدعاة يدعوهم ثلاث أيام، ولم يسمع أهل سمرقند للدعاة، ولم يسلم منهم رجل واحد؛ لأنهم أرادوا التأكد من صدق المسلمين، وذلك لكي يعرفوا مدى صدق دعوى الجيش المسلم، وبدأ الهجوم على المدينة من جديد، وعندما اقترب الجيش المسلم من أبواب المدينة، وإذا بالأبواب تفتح على مصراعيها ترحيباً بهذا الجيش الإسلامي الخلوق، إذ من الذي يستطيع أن يقف في وجه جيش مزود بالأخلاق القرآنية أكثر مما هو مزود بالعُدد الحربية؟!

ومثال ثالث: هو قصة إسلام إندونيسيا التي لم يدخلها سيف واحد ولكن التجار المسلمين فتحوها بأخلاق القرآن الكريم إذ أن التاجر عندما يدخل إلى بلد ما، يعرض عليهم بضاعته بكل دقة وأمانة، هذا ثوب ثمين بسعر غالٍ وهذا ثوب يشابهه إلى حد كبير ولكنه زهيد الثمن... هذا ثوب فيه عث وقد عولج... وهذا ثوب يظهر عيبه بعد الغسيل...

ويتعجب أهل تلك البلاد من هذه الأمانة المفاجئة التي أصبح التاجر العربي يتمتع بها بعد أن كان يأكل الأخضر واليابس... فيسألونه:

ما بالك أيها التاجر قد أصبحت صاحب أمانة عالية لا يجاريها أحد... بعدما كنت لا تتورع عن محرم... ولا تألوا جهداً في غش ولا كذب ... فيقول بعد أن يتنفس الصعداء:

كنا أمة يأكل فينا القوي الضعيف، همنا جلب الأرباح الدنيوية، نؤمن بصنم لكي ينفعنا في الدنيا، ولا نؤمن بالله ولا باليوم الآخر، فأراد الله هدايتنا... فبعث إلينا رجلاً منا نعرف صدقه وأمانته فأمرنا بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، ونهانا عن الفحشاء والمنكر والبغي ... عرفنا عظمة الخالق ... وحذَّرنا من عذاب القبر وأرشدنا إلى تقوى الله الذي سنقف أمامه يوم القيامة ليس بيننا وبينه حجاب ذلك الإله الذي سيسألنا عن النقير والقطمير.

وحينما يسمع الناس هذا الكلام فإنهم يعرفون على الفور مدى صدقه وضرورة فهمه، فإذا بهم يجلسون حول هذا التاجر يفهمون ذلك الدين، فلا يلبثوا إلا أن يدخلوا في دين الله أفواجاً، جماعات، ووحدانا.

فأين هو السيف يا من تتهمون الإسلام بأنه دخل إلى الناس عنوة؟،

ولذلك لا بد لنا أن نفرق بين الفتوحات الإسلامية وبين الاستعمار.

فإن الاستعمار إن سيطر على الأموال والأوطان فلا يمكن أن يسيطر على القلوب والعقول، وحين يخرج الجيش المستعمر من تلك البلاد، فإن الفرحة تغمر جميع الناس من حكام ومحكومين، من جيش وشعب، ويعد ذلك اليوم عيداً وطنياً يحتفل فيه كل عام، فأين هو البلد التي خرج منه الإسلام فارتد أهله على أعقابهم، أو اعتبر ذلك اليوم عيداً وطنياً يحتفل به؟!

فعندما سقطت الخلافة في آخر عهدها، ظلت الشعوب ولا تزال تنتظر ذلك اليوم الذي يعود لها إسلامها مرفوع الرايات مظفر الخطى، مهيب الجانب.

أليست هذه الشعوب تصلي وتصوم وتدفع الزكاة بالرغم من عدم مطالبتها بذلك، بل ربما وضعت بعض الأنظمة، العراقيل أمام العبادة لله.

أو ليس موسم الحج الذي يأتي إليه الملايين من شعوب من شتى البقاع شاهداً على حنين الناس إلى تلك الكعبة المشرفة، والمدينة المنورة... تزور فتتذكر... محاولة إرواء الفؤاد من تلك الأطلال التي عاصرت بداية النور ومهبط الوحي، وانتصارات بدر، وأحد، والخندق، ومثوى

اشرف رجل عرفته البشرية[2]، فأين هو السيف المسلط على رقابهم حتى يأتوا إلى تلك البلاد من أماكن بعيدة، ويتركوا أوطانهم وأولادهم وتجارتهم، ويتكبدوا عناء السفر مع دفع الإتاوات، وتحمل المشقات.

ونخلص إلى القول: إن الإسلام قد أنتشر بين الناس بلا إكراه، ولكنه دافع عن نفسه وعقيدته وديارة بالسيف؛ فلا يمكن لعاقل أن يمنع كائناً من كان أن يدافع عن نفسه وعقيدته وعرضه وماله؛ لأن ذلك مخالف للفطرة ناهيك عن معارضته للمنطق والواقع، ولكن الإسلام لم يدافع عن نفسه فقط، بل عن حرية كل من في المعمورة، من أن يُغمط حقهم أو تنتقص حريتهم.

فلا يحق لدولة ظالمة أن تدعي إنها ترعى الديموقراطيات في العالم وهي تضطهد سكانها الأصليين السود بينما الإسلام يكتفي وهو دين الله الخالد من أن يمتنع من الدفاع حقيقة عن حرية الناس في أخص خصائصهم ألا وهي العقيدة.

وأنا الآن ارحب بأسئلتكم ومشاركاتكم.

س1: ما هو الفرق بين القتال والجهاد؟

ج1: القتال أنواع كثيرة فمنه القتال لأجل جلب الأموال، ومنه قتال للتوسع، ومنه قتال لإظهار القوة على الآخرين، ومنه القتال لإلهاء الشعوب عن مشاكله الداخلية باصطناع حروب مع أعداء خارجيين؛ لتوحيد الجبهة الداخلية تجاه العدو المشترك، ومنه القتال في سبيل الله عز وجل:

أما **الجهاد** فهو بذل الجهد لإعلاء كلمة الله عز وجل ونشر دينه، ووسائله مختلفة؛ فمنه جهاد الكلمة كالوعظ والإرشاد، ومنه جهاد القلم بنشر العلم بين الناس، ومنه جهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنه جهاد النفس بحيث يستقيم المسلم على الأخلاق الفاضلة حتى يكون قرآناً يتحرك، ومنه جهاد القتال في سبيل الله عز وجل بالمال والنفس وخوض المعارك وإرغام المعاند.

وليس أدل على ذلك من أن الإسلام قد اعتبر المرأة التي تموت بالنفاس شهيدة في سبيل الله، وما ذاك إلا لأنها حملت، وَبِنِيَّتِهَا أن تنجب طفلاً يجاهد في سبيل الله، فكان لها ذلك الأجر

([2]) قام أحد المؤلفين البريطانيين بتأليف كتاب يضم أعظم (100) رجل في التاريخ، وكان أولهم، وأعظمهم سيدنا محمدρ، وهذا ما اعترف به الكاتب النصراني نفسه، والفضل ما شهدت به الأعداء، فكيف لا يحبه ويحترمه المسلمون؟

العظيم، وكذلك المبطون والحريق والغريق؛ ذلك لأن كل واحد منهم كان يعيش وبدمه وعروقه حبّ نشر الخير والهدى والنور بين الناس.

اما الجهاد الأكبر فهو الصدع بالقرآن لقوله تعالى:

(فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً) (الفرقان:52)

س2: هل من توضيح يفرق بين النية الصادقة، والكاذبة، في أثر الشهادة في سبيل الله وبين القتال لأجل الدنيا..؟

ج2: نعم، فمداد العلماء يوم القيامة يوزن بدماء الشهداء وما ذاك إلا للمعنى الذي قلناه.

وأيضاً فإن ذلك الرجل الذي مات مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في إحدى المعارك فقال الناس هو شهيد هو شهيد ولكن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "هُوَ فِي النَّارِ فَذَهَبُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ فَوَجَدُوا عَبَاءَةً قَدْ غَلَّهَا "[3] ألم يقل سبحانه: (وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) [4]،

ورجل آخر خرج ليقاتل مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فرأى مشركاً معه حمار جيد، فهجم عليه ليقاتله فدافع المشرك عن نفسه وحماره فقتل المسلم فقال الناس هو شهيد فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) بل هو شهيد حمار.

ورجل آخر أدركته جراحه فلم يحتمل فانتحر فكان بطلاً إلى النار.

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ نَظَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى رَجُلٍ يُقَاتِلُ الْمُشْرِكِينَ وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ الْمُسْلِمِينَ غَنَاءً عَنْهُمْ فَقَالَ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا فَتَبِعَهُ رَجُلٌ فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى جُرِحَ فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ فَقَالَ بِذُبَابَةِ سَيْفِهِ فَوَضَعَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ فَتَحَامَلَ عَلَيْهِ حَتَّى خَرَجَ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ وَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا "([5]).

ولذلك فقد حرص الإسلام على تنقية نيّة المجاهد المسلم من الغرض الدنيوي والشخصي ومن حظوظ النفس فها هو علي–**عليه السلام**– يقدر على كافر فإذا بالكافر يبصق عليه، فيتركه من أجل الله قالوا ما بالك تركته؟ قال خفت أن اقتله ثأراً لنفسي.

([3]) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير برقم(3074)

([4]) سورة آل عمران آية (161).

[5]) رواه البخاري في كتاب الرقاق برقم(6493).

وكذلك عندما أرسل سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) علياً كرم الله وجهه إلى المعركة نبهه مذكراً له وللمجاهدين من بعده إلى الهدف من الجهاد قائلاً:

" فَوَاللَّهِ لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ"[6]

مشاركة (1) نكتة:

يقال بأن أعرابياً أُدخل إلى المسجد ليسمع كلام الدين والأيمان فسمع الشيخ يروي لتلاميذه قول النبي (صلى الله عليه وسلم) لعلي – رضي الله عنه –" لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم " هنا خرج الأعرابي من المسجد فوراً دون أن يعرف شيئاً من الإسلام، فوجد كافراً فصرعه بالأرض وأمسك السيف بيده، وقال له: إما أن تسلم وإما أن اقطع رأسك، هنا سأل الكافر الأعرابي قائلاً:

وماذا أقول حتى أدخل في الإسلام؟! وبما أن الأعرابي لم يكن يفهم شيئاً في الإسلام لم يدر بماذا يجيب، فقال:لا ادري، فقال الكافر: إذاً دعنا نذهب إلى الشيخ ونسأله أنا وإياك عن كيفية الدخول في الإسلام ... وشكراً.

شكراً للأخ العزيز: وحقيقة هذه نكته تبين بوضوح كيف أن كثيراً من الناس، يحب الدين ولكنه لا يعرف ما هو، يتشجع للخير ولا يعرف الطريق الصحيح إليه، يكره الكفر ولا يعرف ما هو الفرق الفاصل بين الكفر والإيمان.

إن بعض الناس يريد أن يعيد الحقوق إلى أهلها، يريد أن يعيد الأندلس ومع ذلك يتمنى أن يفتح فرعاً لبنك ربوي أو لخمارة في تلك البلاد.

إن الكفر لا يطرد بالكفر، والمعصية لا تزال بالمعصية، والجريمة لا تزال بجريمة، والجهل لا يغسل بالجهل.

س3: أين حرية الفكر في الإسلام طالما أن المرتد يحكم عليه بالقتل؟!

أولاً: نرجع إلى الواقعة التي صدر فيها الحكم لنعرف مدى الاعتداء على حرية الآخرين، فمن المعلوم انه لم يدع اليهود وسيلة للدس على الإسلام والتشكيك فيه إلا واتبعوها.

وكان من جملة هذه المكائد أنهم أمروا بعض أتباعهم أن يتظاهروا بالدخول في الإسلام في الصباح، فإذا فرح بسطاء المسلمين بإسلامهم، وإذا بهم في آخر النهار يتظاهرون بأن الإسلام

([6]) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير برقم(2942).

لم يعجبهم فإذا بضعاف القلوب ينخذلون، وبالمنافقين يقولون لو لم يجد أهل الكتاب باطلاً في دين محمد لما تركوه.

حدث هذا في وقت أسلم فيه عدة أشخاص من كبار أحبار اليهود إسلاماً حقيقياً كعبد الله بن سلام؛ فكان الرد الإسلامي على المتلاعبين هو قول النبي (صلى الله عليه وسلم) " مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ "[7] فكما انه لك أن تتبع الدين الذي تقتنع به، بالمقابل لا يجوز لك أن تتلاعب بالأديان الأخرى، ولا بعقول الناس ولا بقلوبهم.

فإذا أردت أن تدخل في الإسلام، فادخل عن عقيدة، وقناعة، وإلا فالإسلام غني عنك وعن ألاعيبك،(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ) سورة الممتحنة آية (10)

ودليلاً على ذلك، فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما سأل أصحابه "هَلْ كَانَ فِيكُمْ مِنْ مُغَرِّبَةِ خَبَرٍ فَقَالَ نَعَمْ رَجُلٌ كَفَرَ بَعْدَ إِسْلَامِهِ قَالَ فَمَا فَعَلْتُمْ بِهِ قَالَ قَرَّبْنَاهُ فَضَرَبْنَا عُنُقَهُ فَقَالَ عُمَرُ أَفَلَا حَبَسْتُمُوهُ ثَلَاثًا وَأَطْعَمْتُمُوهُ كُلَّ يَوْمٍ رَغِيفًا وَاسْتَتَبْتُمُوهُ لَعَلَّهُ يَتُوبُ وَيُرَاجِعُ أَمْرَ اللَّهِ ثُمَّ قَالَ عُمَرُ اللَّهُمَّ إِنِّي لَمْ أَحْضُرْ وَلَمْ آمُرْ وَلَمْ أَرْضَ إِذْ بَلَغَنِي "[8].

إذاً فعمر – رضي الله عنه – لم يرض بالكفر، ولم يرض أيضا بالقتل، ولكن الأمر لا يعدو أن يكون شبهة عرضت لهذا الإنسان فارتد، لكن لو زالت تلك الشبهة لعاد إلى الإسلام من جديد، وهو أقوى عزيمة وأصلب عوداً وأقوى شكيمة...

نعم؛ فالإسلام هو دين الحق، وهذا الرجل يحب الحق، ولكن لشياطين الأنس والجن جولات على القلوب، فلو وضع هذا الرجل على أسوأ تقدير في السجن أفتعجز الدولة الإسلامية عن ثلاثة أرغفة خبز، أم يعوزهم أن يجدوا عالماً يرد الشبهة.

إذ لو فعل هذا لما مات مضلَل بيد مسلم، ولما خسر الإسلام رجلاً، ولما حسب على الإسلام انه قتل نفساً، ولما فقدت الجنة أحد روادها، فلم ولن يرضى عمر، ولا رب عمر، عن حادثة تدل على روتين القتل، بدلاً من أن تدل على حسن إدارة الأمور.

ولذلك فلو أن كاتباً ارتد عن الإسلام وألّف كتاباً يطعن بالإسلام فأيهما أولى أن نشهر به عشرات السنين ونتوعده بالقتل، كقول الشاعر:

([7]) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير برقم(3017).
([8]) موطأ مالك، كتاب الأقضيه برقم (1445).

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعاً أبشر بطول سلامة يا مربع

وبهذا أو ذاك ندخل الفرحة على قلوب أعداء الأمة أم نحاوره بالمنطق والعقل على جرائد ومجلات وكتب مفتوحة، فإن عاد للحق قهرنا عدونا وان بقي على ظلاله ازداد دفاعنا عن الإسلام.

وكذلك فيما لو ارتدت مسلمة عن الإسلام وذهبت إلى ديار الكفر فلا بد من أن نعرف ما هو السبب في ذلك هل أضلها أحد، وأين هي إذاً مسئوليتنا عن تربية أولادنا؟ بل وأولاد جيراننا؟، بل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ أو لعلها ارتكبت ذنباً يوجب الرجم والجلد فهربت فأين هي حادثة ماعز والغامدية.

إن الكافرين سيستقبلونهم استقبال الأبطال وسيبعثون إليهم بالرسائل والأموال يستدرجونهم إلى بلادهم، لا حباً بهم لأنهم شواذ، ولكن غيظاً وحنقاً علينا، وإظهاراً لصحة معتقداتهم الباطلة أمام شعوبهم.

فلا يجوز لنا باسم الإسلام والغيرة عليه أن نتصرف تصرفاً ليس هو من ديننا، ثم تأتي وسائل الأعلام فتشهر بتصرفاتنا المحسوبة على الإسلام وهو منها براء.